



معركة لطم الخدود ! (1 - 2)

بقلم : رائف محمد الويشي

5 أبريل 2011

بعد أن ترك منصبه كوزير للدفاع ، صرح المشير عبد الغنى الجمسى في عام 1979 وفى أعقاب توقيع اتفاقية السلام مع الإسرائيليين بأن عقد الثمانينات سيشهد جولة حربية جديدة بين مصر وإسرائيل ..

مضت السنون ولم تقم الحرب ، لماذا تبذل إسرائيل من مواردها البشرية والمادية إذا كان المصريون يخربون بيوتهم بأيديهم ؟ ، لماذا تطلق رصاصه واحدة وهى تحصل بالسياسة أضعاف ما قد تحصل عليه بالحرب ؟

لقد تغيرت الأحوال وأصبح العدو صديقا ورفع علمه في سماء القاهرة ، وطرد الصديق وأصبح عدوا .. تغيرت الأحوال تغيرا جذريا وفى اتجاه معاكس ، سيناء أخلت - بمبادرة مصرية !! - من السلاح ، ثروات مصر جرى نهبها من قبل إسرائيل في صورة اتفاقيات يشهد عليها العالم ، مصر تقوم ببناء حائط فولاذي لمحاصرة الفلسطينيين في غزة ..

كان من الطبيعي جدا أن يصرح مصطفى الفقى - أحد كوادر مبارك - في يناير 2010 بأن رئيس مصر القادم يجب أن توافق عليه إسرائيل وأمريكا ، وكان من الطبيعي جدا أيضا أن يقول الوزير الإسرائيلي بنامين اليعازر في مايو 2010 وفى شرم الشيخ بأن مبارك هو مخزون إستراتيجي لإسرائيل ..

لكن مصر في عام 2011 تغيرت عما كانت عليه في العقود الأربعة الماضية ، مصرت ثارت على حالها ودفعت الدم من أجساد شبابها للحصول على الحرية ، أصبحت مصر للمرة الأولى في تاريخها الممتد لسبعة آلاف عام تعيش بدون فرعون .. هناك محاولات عديدة يقوم بها المجلس العسكري بإعادة مصر مرة أخرى إلى حظيرة الفرعون ، الواقع على الأرض يقول أن شباب مصر يقظون جدا لذلك ومستعدون دائما لدفع الثمن وقطع الطريق على تلك المحاولات ..

إذا استمرت يقظة الشباب وبقي الاستعداد للتضحية على أشده لديهم ، فإن الأمور ستنتهي بوجود رئيس وطني يختاره الشعب ليكون مسنولا على تنفيذ مهام بالغة الصعوبة ملقاة على أكتافه .. إننا لا نبالغ حين نقول أن تنفيذ تلك المهام بصورة ناجحة سيكون أقرب إلى الخيال ، ونستطيع أن نضع ملخصا لتلك المهام في الشكل التالي :

1- معركة النهوض بالصحة (تكلفة النهضة تبلغ 20 مليار دولار تقريبا) : هناك أرقام قياسية من الأمراض الخبيثة استوطنت في أجساد المصريين ونخص منها السرطان بأنواعه (خاصة الكبدى) والفشل الكلى لهي وأمراض القلب وضغط الدم ، يحتاج الخلاص منها إلى بناء العديد من المستشفيات وإقامة صناعة قوية للدواء (لمزيد من المعلومات ننوه إلى الحلقة الثالثة بعنوان ملف صحة المصريين في دراسة من تسع حلقات بعنوان " من فقه التوريث " لكاتب المقال على مدونته) ..

2- معركة النهوض بالتعليم (تكلفة النهضة تبلغ 20 مليار دولار تقريبا) : نحتاج في النهوض بالتعليم إلى إنشاء الآلاف من المؤسسات التعليمية وكذلك إلى إعادة تدريب المعلم (لمزيد من المعلومات ننوه إلى الحلقة الرابعة بعنوان ملف صحة التعليم في

الدراسة السابقة لكاتب المقال على مدونته) ..

3- معركة توفير الغذاء (تكلفة النهضة تبلغ 20 مليار دولار تقريبا) : وهي عملية تعمل في أكثر من اتجاه ، فهناك الشق الزراعي وضرورة توافر الحلول الغير تقليدية (الاتجاه إلى التعاون الزراعي مع دول الجوار الجنوبية) ، وهناك الشق التصنيعي لتقليل المستورد ، وهناك الشق الاستثماري بتقديم إغراءات ملموسة لمن يرغب في الاستثمار (لمزيد من المعلومات ننوه إلى الحلقة الخامسة بعنوان الملف الزراعي لمصر في الدراسة السابقة لكاتب المقال على مدونته) ..

4- معركة لبناء البنية التحتية المنهارة (تكلفة البناء تبلغ 30 مليار دولار تقريبا) : وهنا يجب العمل على محورين :
المحور الأول : إعادة تأهيل منازل المصريين بالصرف الصحي الذي يحقق الحد الأدنى من المواصفات المقبولة (هناك دراسات متخصصة تؤكد أن 85 % من المنازل المصرية ليس بها صرف صحي يتطابق مع المواصفات العالمية) ..
المحور الثاني : إعادة تأهيل المناطق العشوائية المنتشرة في كل أنحاء مصر ، الواقع يقول أن هناك 1200 منطقة عشوائية على مستوى مصر ، وأن ضمنها 20 منطقة يجب إزالتها فورا لعدم إمكانية إصلاحها ..

5- معركة لبناء الاقتصاد المدمر (تكلفة البناء تبلغ 30 مليار دولار تقريبا) : وهي عملية معقدة لتشابك وتداخل الملفات داخله ، والمطلوب هنا العمل على المستويين العربي والإسلامي بتقديم إغراءات لإنشاء المصانع ، وكذلك العمل على القروض الإنتاجية من الدول الصديقة والشقيقة وليست الاستهلاكية (المصنع الذي يتم إنشاؤه لابد من قيامه بتسديد القرض المخصص له) ..

6- معركة لبناء جيش قوى (تكلفة البناء تبلغ 80 مليار دولار تقريبا) : وإذا كانت الصعوبات الخمسة السابقة تستوجب تضافر الجهود للنهضة بها ، فإن معركة بناء الجيش المصري سيشوبها أكبر الصعوبات والمبلغ المطلوب تدبيره يعد ضمن المستحيلات بسبب الوضع الكارثي الذي تعيشه مصر الآن ، وسنخصص الحلقة الثانية من هذه الدراسة لحل هذا البند وحده بأقل التكاليف ..

إن الانتصار في تلك المعارك الست يحتاج إلى إمكانيات ضخمة وهي غير متوافرة بالمرّة ، حتى لو اجتمع في مصر أفضل الرجال كفاءة وإخلاصا .. إذا كانت مصر تتسول الآن قوتها ، فكيف سنتمكن من إعادة بناء تلك المؤسسات المنهارة ؟

لكن الحالة لا يجب أن تقودنا إلى اليأس ، علينا أن نعود قليلا إلى الوراء وتحديدا في أعقاب نجاح ثورة يوليو 1952 ، مصر الآن تشبه النموذج الذي كانت عليه في أعقاب نجاح الثورة التي قادها عبد الناصر ، باستثناء أن أوضاع المصريين حينها في هذه البنود الستة المذكورة سابقا كانت أفضل كثيرا مما هي عليه الآن ..

كانت الفترة الواقعة بين عامي 1957 / 1967 تمثل العصر الذهبي لبناء مصر على كل الأصعدة ، سواء في التوسع الزراعي أو التصنيع الوطني أو التعليم أو الصحة أو النمو الاقتصادي أو حتى في بناء الجيش ..

لندرس بدقة هذا العقد الذهبي الذي امتد من منتصف الخمسينات إلى منتصف الستينات ، سنتذكر أن إسرائيل فعلت المستحيل من أجل إعاقة عجلة نمو مصر وفي جميع المجالات ، ولما فشلت في تحقيق النتائج المرجوة من تلك الإعاقة قامت – ومعها الغرب – بالعدوان في 1967 وأوقفت بقواتها هذا التقدم ، ودام ذلك وإلى الأسوأ حتى عام 2011 ، أي أنها أضاعت ستين عاما تقريبا من عمر المصريين ..

من المؤكد أن إسرائيل ستستخدم مرة أخرى كل عوامل الإعاقة لتوقيف نمو مصر ، الساحة الداخلية المصرية أصبحت مفتوحة عن آخرها الآن ولم تعد مغلقة كما كانت في العقد الذهبي ، ويعتبر ملف الأقباط أحد أهم عوامل التوتر فيها ويليه ملف الانقلاب العسكري ، كما أن الساحة الخارجية أزاحت ما تبقى من حواجز في طريقها بفعل النظام العالمي الجديد الذي نعيشه ، ويعتبر ملف التعاون الاقتصادي – ذات المحاور المتعددة - أحد أهم عوامل التوتر فيها (المحور الإثيوبي الإسرائيلي المرتبط بالمياه – المحور الخليجي الأمريكي المرتبط بالضغط بهدف إفشال التجربة الوليدة في مصر) ..

من الثابت أن مصر ستسير في نفس السيناريو الذي مرت به في عام 1957 ، ستبذل حكومتها أقصى ما في طاقتها لإعادة بناء ما تم تدمير خلال السنين عاما الماضية ..

من الثابت أيضا أن إسرائيل ستسخر أقصى إمكاناتها لإعاقة هذا التقدم المصري ، ستستخدم كل الوسائل الغير عسكرية لوقف التقدم ، ستعتمد إسرائيل اعتمادا يكون كليا على قوة الموساد في جمع المعلومات ، وستمثل الفترة القادمة أهم فترة لهذا الجهاز المعلوماتي الخطير ..

ستحقق إسرائيل بعض الأهداف في وقف النمو المصري ، تماما كما فعلت في النصف الأول من عقد الستينات ، لكن الموكب المصري سيواصل التقدم وإن كان بسرعة بطيئة ..

ستضغط الأغلبية المصرية التي لا تعلم بحقيقة الوضع على الجيش المصري وتطالبه بإنهاء الصراع كي نتفرغ لاحقا للبناء ، ويشاركها بعض شرائح الأقلية الفكرية (وأسمع الآن الأصوات التي تطبل لذلك ، ومن النخبة للأسف !) ..

ستضغط الأقلية الإسرائيلية التي تعلم بكل التفاصيل وتطالب الجيش الإسرائيلي بحسم الموضوع عسكريا مع مصر في القريب العاجل وعدم إعطاء المصريين أي فرصة للبناء ، بينما الأكثرية الإسرائيلية تطالب بتطبيق نفس نموذج الستينات (أى الإعاقة ثم التدخل العسكري) ..

أغلب الظن أن الإدارة الإسرائيلية ستكرر سيناريو ستينات القرن الماضي ، وهنا يجب على الباحثين المصريين بذل أقصى درجات الدقة لجمع ما يتوافر من معطيات ضعف في الملف المصري ومعطيات قوة في الملف الإسرائيلي ، كي نضعها أمام الإدارة المصرية القادمة ، والتي لا أشك بأنها ستكون أفضل الإدارات التي ستحكم مصر حتى الآن ، مهما كان الفكر الذي ستحملة ..

لم يخطأ المشير عبد الغنى الجمسى في حينه بما تنبأ به ، فهو لم يضع في الحسبان أن الإدارة المصرية ستنهب مصر كما حدث ، ولم يكن يتصور في أغلب أحواله تشاؤما أن إسرائيل ستحتضن في أراضيها **70 ألف** شاب مصر يعملون في مؤسساتها والكثير منهم في كتائب المستعربين ، ولم يكن يصدق أن رئيس مصر سيكون صهيونيا خالصا ، ولم يكن يتصور أن أعلى سلعة إستراتيجية لدى مصر وهى الغاز ستباع بأقل من تكلفتها لإسرائيل في عقد مدته عشرين عاما ..

أما وقد قام الشعب بثورة هي الأولى في تاريخه ، أما وقد تم القبض على الخونة والصهاينة ، أما وقد تبدو الإدارة المصرية القادمة في الأفق من بعيد ، ، أما وقد تخلص المصريون من الخوف وارتدوا أثواب الشهادة للدفاع عن ثورتهم ، أما وقد توقف المصريون عن هدم بيوتهم بأيديهم ، أما وقد تكاتف الجميع من أجل البناء وتعويض ما فات وما تم نهبه ، أما وقد حدث كل ذلك فإن السيناريو الإسرائيلي القديم قادم لا ريب فيه ..

نحن نخصص تلك الدراسة لمتابعة الحالة العسكرية الإسرائيلية ، سنغوص داخلها ونحاول أن نعرف أماكن القوة التي تتمتع بها ، لعل ذلك يهدينا إلى أماكن الضعف التي لا نراها في صفوفنا ..

لنرى في الحلقة القادمة إن شاء الله

رانف محمد الويشى

سانت لويس - ميزورى - أمريكا

elwisheer@yahoo.com

تابع مقالات سابقة لكاتب المقال على مدونته " ثوار مصر " وعنوانها كما يلي :

www.thowarmisr.com

